بالصاخة مجازاً لان الناس يصخون لها وقال ابن العربي الصاخة التي
تورث الصمم وانها لمسمعة وهذا من بديع الفصاحة كقوله تعالى ٠٠
اصمتني سرهم ايام فرقتهم ٠٠ فهل سمعتم بسر يورث الصمما ٠٠ وجواب
اذا محذوف دل عليه قوله تعالى فاذا جاءت الصاخة اشتغل كل واحد بنفسه
وقوله تعالى يوم يفر المرء بدل من اذا من اخيه وامه وابيه و
صاحبته اي زوجته وبنيه لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه انهم
لا يغنون عنه شيئاً كقوله تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً فيفر المرء
من هولاء الذين كان يفر اليهم في دار الدنيا ويستجير بهم لكثرة ما يشغله
وبدا بالاخ لانه ادنا مرتبة في الحب والذب ثم بالام لانها كانت حمايته
لدى الالف ويلزم من حمايتها اكثر مما يلزم للاخ وهو لها الف والها
احن وعليها ارق واعطف ثم بالاب لانه اعظم منها في الالف لانه اقرب
في النوع وللولد عليه من المعاطفة ما ليس من بين النعم الكريمة ثم قبلهم
بالصاحبة لان الزوجة التي هي اهل لان تصحب الصق بالفواد واعرق
في الوداد وكاد الانسان ان يذب عنها عند الشدة ثم بالولد لان له
من المحبة والمعاطفة بالسرور والمشاركة في الامر ما ليس لغيره
ولذلك يفديه على زوجته وعمه فتقدم ادناهم مرتبة في الحب والذب
فادناهم على سبيل الترقي واحق الاوجب في ذلك فالاوجب خلاف
ما في سورة سال فانه قيل يفر المرء من اخيه بل من امه بل من ابيه
بل من صاحبته بل من بنيه وقيل يفر منهم حذراً من مطالبتهم
بالتبعات يقول الاخ لم تواسيني بمالك والابوان قصرت في برنا
والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم
ترشدنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم عليه
السلام ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح ولما ذكر الفرار

انه

اتبعه سببه فقال تعالى لكل امرئ وان كان اعظم الناس مروة منهم يومئذ
اي اذ تكون هذه الدواهي العظام والشدائد والاهوال شان اي امر
عظيم وقوله تعالى يغنيه حال اي يشغله عن شان غيره وعن سودة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبعث الناس حفاة عراة غرلاً اي بالقلفة قد الجمهم العرق وبلغ شحوم
الاذان فقلت يا رسول الله وا سوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه
وقال ابن قتيبة يغنيه اي يصرفه عن قرابته ومنه يقال اغن عني
وجهك اي اصرفه وقال اهل المعاني يغنيه اي ذلك الهم الذي حصل
له قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع لهم آخر فصار شبيهاً بالغني في انه
ملك شيئاً كثيراً ولما ذكر تعالى حال القيامة في الهول بين ان المكلفين
على قسمين سعداء واشقياء فوصف سبحانه السعيد بقوله تعالى وجوه
يومئذ اي اذ كان ما تقدم من الفرار وغيره مسفرة اي مضيئة متهللة
من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث
من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء
وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله تعالى ضاحكة اي مسرورة فرحة
قال الكلبي يعني بالفراغ من الحساب مستبشرة اي بما آتاها الله تعالى من
الكرامة ثم وصف الشقي بقوله تعالى ووجوه يومئذ اي اذ وجد ما ذكر
عليها غبرة اي غبار ترهقها اي تعلوها قترة اي سواد كالدخان
ولا يرى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما يرى من وجوه
الزنوج اذا اغبرت اولئك اي البعداء البغضاء الذين يصنع بهم هذا هم
ايضاً الكفرة الفجرة جمع الكافر والفاجر وهو الكاذب والمفتري على
الله تعالى فجمع تعالى الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر وقوله

Copyright © King Saud University